السمات الشخصية للأنماط البشرية

بقلم:
د.عزت الطويل
أستاذ علم النفس بكلية الآداب ج.بنها وعضو المجمع العلمى لبحوث القران والسنة

تقوم العلاقات الإنسانية بين الناس على ركائز أساسية مثل المسايرة والمغايرة، والتصارح والتصالح والصراع والتعايش، والأنانية والأنامالية والود والجفاء لدى معظم الأنماط البشرية التى تتكون - فى نظرى - من خمسة أنماط أولها :

النمط المخادع : وقد تحسبه صديقاً وهو ليس بصديق، تتسم شخصيته بالمكر والدهاء، ويميل للعزلة والانطواء إذا حدثك فصوته كفحيح الأفاعى، يأخذ ولا يعطى، يتمنى الشر للآخرين، يعشق العيش مع الحاقدين والحاسدين، يضع نفسه فى زمرة الشامتين، الزمالة بالنسبة له هى الاستفادة ، الحياة عنده صفقة تجارية، مشاعر الآخرين تترجم لديه بابتسامات بلهاء، يقول ماليس فى قلبه، ويظهر عكس ما يبطن، تغلب على خلقه الخسة والدناءة .

وثانيها : النمط المكتئب الذى تغلب عليه روح التشاؤم والإحساس بالذنب والنقص، والشعور بتفاهة الحياة والميل إلى الانطواء الشديد والبكاء المتقطع، كما تنتابه الأفكار السوداوية مثل الانتحار، وتزين له نفسه أن التخلص من الحياة هو الراحة الأبدية بعيداً عن العذاب الأليم والهم المقيم. وإذا تعاملت مع هذا النمط البشرى أصابك البؤس واليأس مما يعانيه من صراعات واضطرابات نفسية، واختلالات وجدانية.

وأما عن النمط الثالث فهو النمط الهلامى وهو نمط من البشر يتسم بالاتكالية والتسويف والنسيان الشديد، وحب العشرة وسخاء الأقوال، وندرة الأفعال لا يقيم للانضباط حسابا منفلت المعايير انبساطى الطابع بشكل ملحوظ، كل شىء عنده بسيط وميسور إلى حد سياسة «صر الفيل فى المنديل» لا هوية له ولا لون .

وفى العلاقات الإنسانية، إن شئت النفاق فهو أمير المنافقين ، وإن شئت الوفاء بالعهد فهو أول من ينقض العهود والمواثيق، عديم المصداقية والمروءة لأنه مسلوب الإرادة، ضعيف الإيمان، شره أكثر من خيره وهو الثعلب فى روغانه، وطحلب الماء فى جريانه .

أما النمط الرابع فهو النمط اللامنتمى الذى يتسم بحياة هامشية فى عمله وأسرته وعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين. إنه لا يبالى بأفعال الآخرين حوله، ولا بأحداث العالم المتغير، تتقرب إليه فينأى بعيدا عنك، تحدثه فيسمعك فقط دون الاهتمام بما تقول«ورب مستمع والقلب فى صمم»

يعيش حالة اغتراب دائم تصل إلى مرحلة «التمرد» على الآخرين من الأسرة وزملاء العمل والمجتمع بوجه عام، إذا تحدث معك سقطت بعض الحروف من كلماته وقلما تفهم منه ما يريد، يذكرك صوته بنقيق الضفدع أو نعيق البومة .

هذا النمط لا يقيم وزناً للخلق أو الدين، ويحيا كالسائمة أو المخلوقات الهائمة.

وعن النمط الخامس والأخير هو النمط السامى الذى يتسم بالسمو والرفعة فى خلقه ومواقفه وعلاقاته الإنسانية، إنه باسم الثغر دائماً، مشرق الوجه غالباً يعطى أكثر مما يأخذ يستمع جيدا لشكوى الآخرين، خيره كثير، وعطفه على الناس وفير .

إذا حدثك فهو الصادق، وإذا وعدك فهو الحر، واذا جالسته أشع عليك نوراً تخلل كل جوانب نفسك فأدركت نفسك، ورأيت كل شىء حولك صافياً مشرقاً جميلاً كأنك شاهدت مصباحاً ساطعاً منيراً، بعد أن سلط عليك إشعاعاً مثيرا .

ويذكرنى هذا - ونحن فى معرض الحديث عن الإشعاع النفسى - ما قيل ويقال عن صفات وخصائص شخصية عمر بن الخطاب حين قالوا قديما: دُرة عمر أهيب من سيفَ الحجاج"لماذا؟ لأن درة عمر أو عصاه تحمل سمات شخصية عمر. وعظمة عمر، ورحمة عمر وفراسة عمر وإيمان عمر، وكل هذه الصفات أو الخصائص مجتمعة تشع إشعاعاً نفسياً وروحياً، تضفى على صاحبها مهابة وجلالة، وتنحنى أشعتها هامات - الجبابرة ونفوس القياصرة، ويشعر كل من تعرض لهذه الأشعة أنها صادرة من مصدر قوى يتوارى دونه النور الكهربائى.

بينما سيف الحجاج بن يوسف الثقفي لا يحمل إلا نفس الحجاج وهى نفس نازعة للشر، أمارة بالسوء، لاقوة نفسية حاسمة، قوة تحمل بين طياتها الخوف والرهبة والهلع. ومن ثم كانت قوة الحجاج الإشعاعية تطاع علًنا فقط، بينما كانت أشعة عمر تطاع سراً وعلناً وكفاه عصاه، بينما سيف الحجاج قد خاب مسعاه .

إن أفراد هذا النمط إذا تحدثت مع أحدهم فأنت أمام صوت شقشقة العصافير التى توحى بالصبح إذا تنفس، والأمل إذا تحقق، والماء إذا تدفق.

هذا وقد تعايش كاتب هذه السطور مع هذه الأنماط البشرية الخمسة فى حياته المهنية - كأستاذ جامعى - حيث تعامل معها فى الجامعة والمعهد والنادى والمصنع والحقل والشارع والمجتمع بوجه عام وكان عليه أن يصنف هذه الأنماط طبقاً لسماتها وخصائصها الشخصية فى مجتمعنا المصرى المعاصر بهدف إدراك منهج التواصل مع الناس والحياة من خلال شبكة البناء المعرفى من ناحية، وديناميه الجماعة والعلاقات الإنسانية من ناحية أخرى .